عبدالمحسن سلامة علاء ثا

# مقياس السعادة والثقافة الجغرافية

8 مارس 2023

**د. حمدى هاشم**

الحروب تحيل مجالها الجغرافى إلى تعاسة مكانية (مؤقتة) بدلاً من السعادة المعتادة (قبلها)، وتطول دولاً وشعوباً فى الجوار الإقليمي، مثل تأثير الزلازل المدمرة بين مركزها وموجاتها الانتقالية، فقد تؤثر الحرب الروسية الأوكرانية على حيز مؤشر السعادة العالمي، وعلى ترتيب الدول الاسكندنافية (دول الشمال)، بالمعايير الخاصة لقياس مؤشر السعادة بين الدول، التى ترسخ هيمنة النموذج الغربى بلا منافس، مقابل إقصاء خصوصية شعوب الشرق والجنوب (إفريقيا)، حسب مفاهيم الجغرافيا الثقافية. ركزت الشركات الكبرى فى اجتماعات المنتدى الاقتصادى العالمي، بشأن تصنيف السعادة (2014)، على قياس السعادة بين العاملين فيها لرفع إنتاجيتهم، وصولاً للأرباح المستقبلية، مثل الأبقار بمواصفات استدامة كمية الحليب، لتفادى خسارة مئات المليارات بسبب تدنى الإنتاجية، بل أغرقونا بمستقبليات أفلامهم وفى ثقافتهم أحادية البعد. ومنذ عام (2012) تقيس شبكة حلول التنمية المستدامة بالأمم المتحدة سعادة البشر، وذلك لمساعدة الدول والحكومات فى توجيه مسار التنمية البشرية. فما علاقة ودور الجغرافيا فى السعادة؟ لأنها تشكل ذاكرة الأفراد وتوطنهم المكاني، وتؤثر مع العوامل الإقليمية والبيئة المرئية والمعمارية فى مستويات السعادة، وعلى المدى الطويل تؤثر مكونات البيئة المشيدة بالمدن على سعادة الفرد، وتؤدى البطالة المرتفعة والاحتقان المرورى والتدهور البيئى إلى تعاسة طويلة الأمد. وتتطلب الأهداف العالمية، مثل الارتقاء بالاستدامة ومكافحة تغير المناخ، داخل بلد أو منطقة محددة، دمج السعادة فى استراتيجيات التنمية، حيث يمثل رضا السكان عن إمدادات الطاقة والطلب عليها والتخطيط الحضرى والإقليمى نقطة مراقبة للمجتمع بالتوازى مع المشروعات المناخية، لتعزيز قدرة قطاع الطاقة والحد من انبعاثات التغير المناخي، وبذلك يؤدى شعور الأفراد فى تلبية رغباتهم

واحتياجاتهم لاستدامة تلك الاستراتيجيات. وللسعادة تأثير على الإنتاجية أو كيف ينفق الفرد وقته وأمواله، ولكنها تتأثر بنوعية مكان معيشة الفرد، ولا تزال المناطق الريفية أكثر سعادة من المناطق الحضرية (المملكة المتحدة)، بدلالة أنماط الحياة وطبيعة المنطقة، ومنها الشبكات الاجتماعية والتكامل المجتمعي، المؤثرة بشكل كبير على درجات السعادة، وللعلاقات العائلية وجودة المكان تأثير أكبر على السعادة (إيطاليا)، بشرط رضا الأفراد عن أوضاعهم الاقتصادية. وهناك مشروع باستخدام التقنيات الحاسوبية لمقاييس وتعابير الوجه يحدد مناطق السعادة والتعاسة (بأوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا وأخرى). وتظهر الدراسات أن قياس السعادة أمر حيوى للرفاهية الوطنية والاقتصاد والاستدامة البيئية وغيرها.

السعادة بين الشعوب ظاهرة ثقافية فى الجغرافيا البشرية، يحكمها دور القانون والسياسات الحكومية فى الارتقاء بالتنمية البشرية، ودرجة الرضا عن الحياة، وليست الأفراد فيها سواء، من حيث الاستقرار أو الاضطراب المكاني، ويظل الإدراك لها الأكثر تأثيراً فى حركتى الجذب والطرد السكانى بين مختلف الأقاليم الجغرافية. وبقدر نسبة السعادة تنتشر الديمقراطية بسلاسة بين أفراد المجتمع، وتسود الأخلاقيات والقيم البنيوية، وتزدهر السلوكيات البيئية والمناخية، وتتوقف الهجرة غير الشرعية، وتقل معدلات الإرهاب والإدمان والجرائم والأمراض النفسية، لأن السعادة تنتقل عن طريق العدوى، من الدائرة الأقرب للفرد، فى إطار العلاقات الأسرية والحالة الصحية ومستوى الدخل. وذلك يؤكد أهمية مقياس السعادة لصناع القرار من أجل مستقبل رفاهية الشعوب.فهل من تأسيس منظمة للسعادة بمشاركة الاتحاد الإفريقى وجامعة الدول العربية مع بقية الدول الآسيوية؟ للعمل على مسببات السعادة والتنمية البشرية بمعايير جودة الحياة والمؤشرات الثقافية للشعوب العربية والآسيوية والإفريقية، لبناء النموذج الشرقى للسعادة مقابل النموذج الغربى.